الدراسات القرآنية المعاصرة: المسارات والاتجاهات

عبد الرحمن حِلّي*

جامعة فرانكفورت - ألمانيا

ملخص

تحاول هذه الدراسة رصد أهم المحطّات المؤثرة في تطوّر الدراسات القرآنية المعاصرة في العالم العربي، وكذلك الدراسات الغربية والاستشراقية عن القرآن، وتمتد الفترة الزمنية التي يرصدها البحث من المدرسة الإصلاحية (المنار) في مطلع القرن العشرين إلى العصر الراهن، وتركّز بالخصوص على العقود الثلاثة الأخيرة، وتهدف إلى تحقيب المراحل وإبراز أهمّ التطورات، وصولًا إلى تحديد المسارات والاتجاهات والقضايا التي ينبغي أن تُلحظ من أجل سدّ ثغرات مهمّة في الدراسات القرآنية تحتل أولوية في البحث العلمي المتصل بالقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الدراسات القرآنية، مناهج المفسرين، الكتاب والقرآن، القراءات المعاصرة، التاريخانية، الاستشراق.

* محاضر في «معهد دراسة الثقافة والدين الإسلامي»، وباحث في مشروع «LOEWE- Religiöse Position-ierung» في جامعة فرانكفورت.

“This article has been published within the framework of the Hessian Ministry for Science and Art funded LOEWE research hub “Religious Positioning: Modalities and Constellations in Jewish, Christian and Muslim Contexts” at the Goethe University Frankfurt / Justus-Liebig-University Giessen.”

Çağdaş Kur'an Çalışmaları: Akımlar ve Yönelimler

Dr. Abdurrahman Hilelî

Özet

Bu araştırmada Arap dünyasındaki çağdaş Kur'an çalışmalarının gelişmesine etki eden en önemli noktaların incelemesine ilişkin çaba harcanmıştır. Ayrıca burada Oryantalizmin Kur'an hakkındaki çalışmaları da incelenmiştir. Araştırmanın incelemeye aldığı dönem, yirminci yüzyılın başlarındaki ıslahçı düşünce ekolünün (el-Menâr) ortaya çıkmasından başlayarak günümüze kadar devam edegelen süreçtir. Ancak araştırma, ilgili hususta özellikle son otuz yıl üzerine yoğunlaşmıştır. Diğer yandan araştırma, ilgili dönemdeki aşamaları izlemeyi ve bahsedilen konu açısından bu dönemdeki en önemli gelişmeleri ortaya çıkarmayı hedeflemiştir. Bunun neticesinde Kur'an çalışmalarıyla ilgili görülen önemli boşlukların doldurulması için öncelikli olarak ele alınması gereken meseleler, akımlar ve yönelimler tespit edilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Kur'an Çalışmaları, Müfessir Metodları, Kitap ve Kur'an, Çağdaş okumalar, Tarihselcilik, Oryantalizm.

Trends Of Contemporary Quranic Studies

Dr. Abdulrahman Helli

Abstract

This study offers a survey of the main points of development in Quranic studies in the Arab World as well as in the west and in the orientalist tradition. The period surveyed spans from the al-Manār reform school in the early twentieth century until the present times, with special focus on the last three decades. The survey equally proposes a taxonomy of the main stages or epochs of these developments while highlighting the most salient developments in each. It makes its own contribution regarding the current research agenda by suggesting a number of issues and research directions that are arguably the main pressing desiderata for filling the most important lacunae in Quranic Studies today.

Keywords: Quranic studies, exegetical methodologies, God's Word and the Qurān, contemporary readings, historicity, orientalism.

١. من الحركة الإصلاحية إلى عقد التسعينيات

شهدت العلوم الإسلامية في العصر الحديث تحوّلات كثيرة شكلاً ومضمونًا متأثّرة بالخصوص بالحركة الإصلاحية وانتشار الطباعة والترجمة، فكان لمدرسة المنار (محمد عبده–رشيد رضا) الدور الأبرز في تطوّر الدراسات القرآنية، سواء من خلال ما تركته من أثر في التفاسير الجديدة والتي تضمنت رؤى نقدية للموروث التقليدي في التفاسير: القاسمي (ت:١٩١٤م)، المراغي (ت:١٩٥٢م)، السعدي (١٩٥٦م)، ابن عاشور (ت:١٩٧٣م)، أو ما أنتجه تلاميذها في الحركة العلمية الإصلاحية من الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم، كالتفسير الموضوعي والأدبي: أمين الخولي (ت:١٩٦٦م)، أحمد محمود حجازي (قدم أطروحته ١٩٦٧م)، عائشة عبد الرحمن (ت: ١٩٩٨م)، أو علوم القرآن: عبد العظيم الزرقاني (ت:١٩٤٨م)، محمد عبد الله دراز (ت:١٩٥٨م). وكان لاكتمال ترجمة كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» لغولدزيهر Goldziher (ت:١٩٢١م) عام ١٩٥٥م أثره في تطوّر منهجية جديدة في الدراسات عن التفاسير كان أبرزها كتاب «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي (ت: ١٩٧٧م).

لقد أخذ كلٌّ من هذه المسارات مداه في الجامعات الإسلامية، ومن خلال المصنّفات المنشورة، فكتِبت ونشِرت مئات الكتب والرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية، وصدرت عشرات التفاسير تأليفًا أو تحقيقًا أو اختصارًا، وصنِّفت أعداد هائلة من الكتب في التفسير الموضوعي، وعلوم القرآن، ومناهج المفسرين، كما شَغَلت بعض القضايا الجزئية من علوم القرآن حيِّزًا مهماً من هذه الدراسات، لاسيما تلك المتصلة بعلوم العربية والقراءات والبلاغة والإعجاز.

وكانت السمة الغالبة على مصنَّفات تلك المرحلة، **إما الاستمرارية بمنهجية تقليدية ساكنة، رسالتها تعليمية تعتمد الجمع والتلخيص والتبسيط والشرح والتقديم بثوب جديد، أو الاستجابة لتحدّيات العصر بروح غلب عليها الجدل والسجال في مواجهة ما بدا حملة تشكيك بالإسلام والقرآن والتراث،** حيث اجتاح تيار يساري واسع العالم الإسلامي، وغدا أنصاره من أبناء المسلمين، وبرز من ينظِّر للفكر

اليساري من خلال التراث الإسلامي نفسه (حسن حنفي، طيب تيزيني، ..)، حتى شاع بين الإسلاميين مصطلح «الغزو الفكري» الذي يهدد «حصون المسلمين من الداخل»، فغلبت هذه الروح الدفاعية والسجالية والاعتذارية المستبطنة -إن لم تكن معلنة- في معظم الإنتاج الفكري الإسلامي حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين.

هذا التحدي الفكري ترك أثرًا في تطور الدراسات القرآنية منهجًا ومضمونًا، لكنه ظلَّ تطوّرًا بطيئًا داخل النسق التقليدي، فعرفت منهجية التفسير التحليلي تحقيقات جديدة ومهمَّة، وأخذت الدراسات الأدبية واللغوية مكانها في الجامعات التي وَجدت في دراسات مناهج المفسرين والتفسير الموضوعي وعلوم القرآن فضاء مريحًا يستوعب مئات الرسائل الجامعية من غير مشكلات فكرية أو عناء منهجي، فأحصيت آلاف الرسائل المكتوبة والمطبوعة في هذه الموضوعات، لكن ما برَّز منها وقدَّم إضافة نوعية في مسار الدراسات القرآنية كان ضئيلًا جدًّا مقارنة بالكمّ الهائل من الدراسات.

أما في **الحقل الغربي فكان للاستشراق المتخصِّص بالدراسات القرآنية مساره الخاص**، فحسب رضوان السيد[١] استقرَّت الدراسات الفيلولوجية التاريخانية للقرآن لدى المستشرقين الأوروبيين في ثلاثة خطوطٍ كبرى لا تتناقضُ كثيرًا والرواية الإسلامية التقليدية.

الخطُّ الأول: أنّ النص القرآني الذي بين أيدينا اليوم هو في مجموعه مما خلّفه النبي محمد ﷺ.

والخطُّ الثاني: أنّ القرآن دُوِّن استنادًا إلى ما خلّفه كُتَّاب النبي من مدوَّنات، وإلى ما احتفظت به الذاكرة الجماعية للجماعة الإسلامية الأولى.

والخطُّ الثالث: أنّ الترتيب الحالي للسُّوَر كما اعتمِد في المصحف العثماني مختلفٌ عمّا خلّفه النبّي لأصحابه، وربما اختلف أيضًا ترتيب الآيات في بعض السُّوَر.

١ فليُنظَر: القرآن في الدراسات الغربية، لرضوان السيد، مجلة التسامح، ٥١-٦٩.

وفي أواخر السبعينات من القرن الماضي، تفرَّدت الدارسةُ الألمانية الكبيرة أنجليكا نويفرت (Angelika Neuwirth) بالمزَاوجة بين البنيوية والإبستمولوجيا في دراستها الواسعة للسُّوَر المكية، ولاحقًا مقالاتها في (موسوعة القرآن)، وهي تُركِّزُ على أنّ القرآن نصٌّ شعائريٌّ مَتلوٌّ منذ البداية، ولذلك فهو يجمع بين التدوين الذي يفترض الانضباط، والشفوية التي تُحيلُهُ إلى تقليدٍ حيٍّ أو نصٍّ متلو (Recita-tion Text)، لكن هذا المنزع الأدبي لم يتحوّل اتجاهًا واسعًا في أوساط الدارسين للقرآن. بل سادت راديكالية تفكُّكية منذ الثمانينات تعمدُ إلى تفكيك النصّ من الداخل، كان رائدها البريطاني جون وانسبرو (Wansbrough)، ومن بعده تلامذته مثل كوك وكرون، وذهب إلى أنّ النبي محمَّدًا ﷺ ما دوَّن شيئًا، فبقيت قِطَعٌ من القرآن في ذاكرة وصحف أصحابه وجيل التابعين. وتعرَّضت تلك القِطَعُ التي كانت تدوَّن تدريجيًّا لعمليات (تحرير) بالتقليل والتكثير والتنظيم والضبط وإعادة التنظيم والضبط، وما استقرَّ النص أو النصوص بالصيغة الحالية إلاّ في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وقد لقي هذا الاتجاه نقدًا حادًّا في السياق الغربي نفسه، ويسمى هذا التيار «التنقيحية».[١]

في سياق آخر أصدر الباحث الياباني توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu عام ١٩٦٤ كتابه «الله والإنسان في القرآن: دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم»، GOD AND MAN IN THE KORAN: Semantics of the koranic weltanschauung ، ثم في عام ١٩٦٦ أصدر نسخة منقحة من كتابه «المفهومات الأخلاقية - الدينية في القرآن» (Ethico-Religious Concepts in the Qu-ran)، وكان في دراستَيه يستثمر المعارف اللسانية وعلم الدلالة بالخصوص، لكن أيًّا من دراستَيه لم تحظ بالاهتمام في العالم العربي خلال هذه الفترة، بخلاف العالم الإسلامي غير العربي.[٢]

وفي عام ١٩٨٠م أصدر العالم الباكستاني فضل الرحمن مالك (ت:١٩٨٨م)

١ البحث عن سياق القرآن التاريخي: نبذة عن الدراسات القرآنية الحديثة، لعمران البدوي، مجلة المشرق الرقميَّة.

٢ عن أعمال ايزوتسو فليُنظَر: «علم الدلالة والدرس القرآني: توشيهكو إيزوتسو نموذجا» لعبد الرحمن حللي، ضمن «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، ٢٨٣-٣١٥.

كتابه: المسائل الكبرى في القرآن الكريمMajor Themes of the Qur'an ، ناقدًا المناهج الاستشراقية في دراسة القرآن مقترحًا منهجًا تركيبيًّا (وهو ما عرف بالتفسير الموضوعي) لدراسة قضايا القرآن الكبرى داخليًّا بوصفه الوسيلة الوحيدة لتمكين القارئ من تذوّق حقيقي للقرآن، ولم يلق كتابه حضورًا ولا اهتمامًا بالعالم العربي، إما جهلًا بكتابه أو تأثُّرًا بفكرة مسبقة عنه ترتبط بالحملة التي واجهها في ستينيات القرن الماضي إثر بعض الآراء والاجتهادات التي أبداها آنذاك حين كان في باكستان، وهذا أدّى إلى تجاهل أعماله الفكرية، وعدم ترجمتها إلى العربية، فتأخَّرت ترجمة كتابه إلى عام ٢٠١٣م رغم أهميته للباحثين في التفسير الموضوعي، لاسيما من حيث المنهج.[١]

في حقل آخر كانت الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم لدى **دارسي العلوم الإنسانية من العرب** تتسم بالجرأة، فاتخذت **بعدًا أدبيًّا** كان أشدّها في أطروحة دكتوراه قدّمها محمد أحمد خلف الله في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وعنوانها: «الفن القصصي في القرآن الكريم". وذلك في سنة ١٩٤٧م، لكنها رفِضت ثم طبعت عام ١٩٥٣م. ظهرت لاحقًا دراسات عائشة بنت الشاطئ في «التفسير البياني للقرآن الكريم» مطلع الستينيات، وشكري عيّاد في دراسته «يوم الدين والحساب: دراسات قرآنية» ١٩٨٤م. وبالتوازي اتخذت بعض الدراسات **بعدًا تاريخانيًّا** يستفيد من جهود الغربيين في دراساتهم الدينية أو المستشرقين في دراساتهم عن القرآن، وكان لأعمال محمد أركون صولتها في ذلك الوقت والتي كانت تقصد إلى ما سماه «أرخنة القرآن»، وإعادته «بشكل علمي إلى قاعدته البيئوية والعرقية ـ اللغوية والاجتماعية والسياسية الخاصة بحياة القبائل في مكة والمدينة في بداية القرن السابع الميلادي»، بدءًا من بحثه «نسبة القرآن إلى الله» ١٩٦٩م، مرورًا بكتابه «قراءات في القرآن» ١٩٨٢م، ولم تكن هذه الدراسات عن القرآن معزولة عن مناهج النقد الأدبي التي تطوَّرت مستفيدة من العلوم اللسانية ومحاولة تطبيقها على الأدب العربي.

---

١ فليُنظَر عن الكتاب: قراءة في كتاب «المسائل الكبرى في القرآن الكريم»، لعبد الرحمن حللي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية المجلد ١٩، العدد ٣٨ (٢٠١٥/١٤٣٧)، ص ٢٨١ – ٢٩١.

لقد كان للمسار الأدبي والتاريخاني في دراسة القرآن الكريم ذيوله وأتباعه سواء في السياق الأكاديمي لاسيما في الجامعات المغاربية خصوصًا، أو السياق السياسي الذي استثمره اليساريون والحداثيون في سجالاتهم مع الإسلاميين عن الشريعة، كما كان لتفكُّك المنظومة الاشتراكية في نهاية الثمانينات تأثيره في خفوت الصوت المعلَن في نقد الفكر الديني ومشاريع نقد التراث وعدّ النص القرآني جزءًا منه، وبالمقابل أصبح الصوت الإسلامي عاليًا، وكأنه ربح الرهان، وانتقل السجال بشأن القرآن إلى مرحلة جديدة لم يعد فيها اليساريون والحداثيون العرب محاربو النظرة التقليدية طرفًا خارجيًا ينتمي إلى منظومة أخرى، إنما اقتحموا الدرس القرآني وأصبح القرآن موضوعًا لمشاريعهم الدراسية، وأصبحوا ينافحون عن قراءة جديدة له في وجه قراءة تراثية لم تفهمه طيلة قرون مضت، وبرزت في هذا المجال زوبعتان ميّزتا عقد التسعينات.

٢. عقد التسعينيات: كتب الزوابع

٢. ١. الكتّاب والقرآن: تفجير القرآن من الداخل

في عام ١٩٩٠م أصدر المهندس السوري محمد شحرور كتابه ذائع الصيت آنذاك «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» ادّعى فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن، وقد أثار لغطًا شديدًا استمرَّ لسنوات وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة في كتابه ومحاولة دحضها أو تأييدها، **وينطلق المؤلف من رؤية تعتبر أن فهم المسلمين للقرآن عبر التاريخ غير صحيح، وأنهم لم يفهموا لغة القرآن وأسقطوا عليه ثقافتهم التاريخية، ويحاول في كتابه أن يقرأ القرآن من منظور معاصر ليفهمه من داخله**، منطلقًا من مسلمات لغوية يفترضها أو يتبنّاها ويذهب بها بعيدًا كرفض الترادف، فيفسِّر القرآن من خلال التفريق بين مصطلحات أساسية فيه كالكتاب والقرآن، والنبوة والرسالة، ويرتِّب على هذ التفريق أثرًا في فهم التشريع، والذي انتهى بالمؤلف إلى منظومة جديدة من الأحكام تخالف ما عرفه المسلمون في تاريخهم أو أجمعوا عليه، والجانب

المعاصر في هذا الفهم الجديد ينسجم أو يتطابق مع التصورات الحداثية في قضايا كثيرة، ولعلَّ هذا التطابق كان الغاية من الكتاب، وقد واجه الكتاب حملة واسعة من النقد والرفض، بعضها اتجه إلى شخص المؤلّف من حيث عدم تخصُّصه أو ضعف تكوينه فيما ادعاه، والبعض إلى افتقاره العدَّة المنهجية المدَّعاة واضطراب تطبيقها، إضافة إلى تضخم الأيديولوجيا في خطابه، حتى اتُّهم بأنه يطبق الرؤية الماركسية في فهم القرآن.

في المقابل كان ثمَّة شريحة من المثقفين (المتديّنين أو المتعاطفين مع الدين) رأوا في الكتاب خطًّا جديدًا يوفِّر لهم طمأنينة تجمع بين عيشهم وفق مقتضيات العصر وتبنِّيهم لأفكار الحداثة مع محافظتهم على شعور بالتديُّن، وشكَّلت هذه الشريحة تيارًا غير علمي التقى بعض أتباعه لاحقًا مع القرآنيين الذين وفَّر لهم الجدل الذي أثاره الكتاب مناخًا جديدًا لرفع أصواتهم.

وقد طبعت من الكتاب آلاف النسخ وانتشر في العالم العربي؛ بل ولقي اهتمامًا غربيًّا على المستوى السياسي، فيما لم يحظ بالاهتمام في الأوساط الأكاديمية الغربية أو العربية إلا على نطاق محدود ومتأخِّر، ويبدو أن الكتاب (الزوبعة) قد **جاء في فترة زمنية سادها ركود وفراغ فكري، فكان له أثره غير المباشر فيما لفت النظر إليه من قضايا لم تكن محلَّ اهتمام الباحثين في الدراسات القرآنية، واهتمَّ بها المؤلف ولم يُقنِع في تطبيقها، ولعل أهمها:**

- التنبيه إلى **أهمية العلوم اللسانية** في دراسة القرآن، بغضِّ النظر عن طبيعة توسلِّه لها في دراسته.
- التنبيه إلى **أهمية دراسة المصطلحات والمفاهيم القرآنية** وفهمها من خلال القرآن نفسه.
- التنبيه إلى **قصور الدراسات القرآنية من حيث حاجتها إلى قراءات جديدة** تستفيد من التطوّرات المنهجية في العلوم ذات الصلة، والتي من شأنها أن تسهم في تعميق الدرس القرآني والإجابة عن أسئلة معاصرة.

هذه الملاحظات التي نتجت عن السجالات حول الكتاب ساهمت في تطوير أنماط من الدراسات القرآنية لم تكن موجودة من قبل، أو لم تحظ بالعناية اللازمة، وغدت نوعًا من الدراسات القرآنية المعتمَدة لاحقًا في الجامعات.

٢. ٢. مفهوم النص: تفجير القرآن من الخارج

في العام نفسه ١٩٩٠م، أصدر الأستاذ الجامعي المصري نصر حامد أبو زيد كتابه «مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن»، والذي حرص فيه على **بلورة مفهوم للنص من داخل علوم القرآن التقليدية باعتماد منهج النقد التاريخي، وانتهى إلى أن النصّ القرآني يخضع للدراسة النقدية، وأن ألوهية مصدر النصّ لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثمَّ انتماءه إلى ثقافة البشر، بالانطلاق من المدخل اللغوي.** فربط دراسة القرآن كنصٍ بمجال الدراسات الأدبية والنقدية، معتبرًا أنه من الطبيعي أن يكون المدخل لدرس النص القرآني مدخل الواقع الذي تشكَّل النصُّ من خلاله، والذي ينتظم حركة البشر المخاطَبين بالنصِ، والمستقبِل الأول للنصِ وهو الرسول، ومن خلال الثقافة التي تتجسَّد في اللغة، ويرى أن البدء في دراسة النصِ بالثقافة والواقع بمثابة بدء بالحقائق الإمبريقية (الحسية التجريبية)، من أجل الكشف عن التداخل بين النصِ والثقافة.

واستثمرّ بشكل كبير الدرس الهرمنيوطيقي، للنظر إلى علاقة المفسِّر بالنصّ ولإعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن؛ بل إن البحث عن مفهوم النصِ ليس في حقيقته إلا بحثًا عن ماهية القرآن وطبيعته بوصفه نصًّا لغويًا، وهو يتناول القرآن من حيث هو –كما يصفه- كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الخالد، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس، سواء نظر إليه الناظرون أنه كذلك في الدين أم لا.

لقد قوبلت مقاربة أبي زيد بجدل أكاديمي حادٍّ بدأ مبكرًا قبل انتشارها، وانتقلت إلى سجال سياسي وُظف فيه القضاء، وعلى إثر هذا السجال تحوَّل الكتاب وصاحبه إلى حالة تشبه الموقف من كتاب شحرور، وتأخَّرت الدراسات والردود بخصوص

«مفهوم النص» الذي وجد صاحبه لنفسه مكانًا في هولندا في الأكاديميات الغربية، حيث رأى المستشرقون في منهجه صدى لنظرياتهم.[١]

لقد كانت **مقاربة أبي زيد وجهًا آخر لكتاب شحرور**، فاكتشف هذا الأخير أن معاني القرآن مختلفة تمامًا عن فهم المسلمين التاريخي للنصِّ، وأن النصَّ منسجمٌ مع العصر والحداثة، لكن المشكلة في فهم المسلمين له، فتبوَّأ شحرور مهمَّة تعليم الناس دينهم من جديد، فيما اكتشف أبو زيد أن النصّ نفسه تاريخي وابن بيئته وأنه نتاج تفاعله مع واقع وثقافة عصر النزول، والانسجام مع العصر يكون بتنسيب النص إلى بيئته التاريخية وحصره بها، **فبينما انطلق شحرور من النصِّ نفسه (داخل النص) ليتحرَّر من الفهم التاريخي، انطلق أبو زيد من محيط النص التاريخي (خارج النص) ليقرر تاريخيته، دون الخوض في تفاصيل معانيه، فيما راعى المفسرون على مدار التاريخ الأمرين معًا** (بنية النصّ ومحيطه التاريخي) **على تفاوت وتنوُّع في مناهج التفسير**.

رغم تواضع أطروحة أبي زيد، والثقل الأيديولوجي الذي تحمله، فقد وفرت التبعات السياسية لردود الأفعال عليها أنصارًا رأوا فيها إنجازًا مهمًّا في هذا الحقل من الدراسات، **وكان من الآثار العلمية لهذه الأطروحة تعميق الجدل حول العلاقة بين النصّ القرآني والتراث (والتي أثيرت في مشاريع نقد التراث)، وقضية استخدام المناهج الحديثة في دراسته**، لاسيما اللسانيات، واستحضرت في هذا المجال أطروحات أركون ودعوته إلى توظيف المناهج الغربية في فهم القرآن، وغدت هذه المناهج دعوى عريضة يستند إليها كلُّ من يودُّ قول شيء في القرآن يخالف ما أَلَّفه السابقون.

ورغم عشرات الطبعات للكتاب والدراسات الجامعية عنه فإن مصير مقاربة أبي زيد لم يكن أحسن حالًا من مقاربة شحرور، رغم ما تنمُّ عنه مقاربة أبي زيد

---

١ ويمكن أن نضيف إلى حقبة التسعينات دراسات تابعت منهج أركون، كتلميذته جاكلين الشابِّي J. Chabbi (بالفرنسية) بعنوان «رب القبائل: إسلام محمد» ١٩٩٧م، ودراسات أخرى في الجامعات التونسية والمغاربية لم تأخذ حظَّها من الانتشار.

من معرفة المؤلِّف بمناهج النقد وامتلاك العدَّة العلمية والاصطلاحية التي وظَّفها لتأصيل قراءته التاريخانية للنصّ القرآني، **فلم يتحوَّل طرحه إلى تيارٍ خاصٍّ إنما التقى معه آخرون في نتائجه، واستقطب أنصارًا في سياق خصومته مع الإسلاميين أو الباحثين الشرعيين الذين بدورهم ينسبون إليه أو إلى شحرور كلَّ من يقدِّم قراءةً للقرآن لا تعجبهم أو تخالف ما ألفوه.**

لقد قصد شحرور وأبو زيد في كتابيهما إلى كسر التقاليد العلمية في التعامل مع القرآن والتراث والتي ران عليها الجمود والتكرار، ولئن استطاعا فتح هوة جديدة في مسار الحملة الممتدَّة على التراث والتقليد، فإنهما من حيث لم يقصدا أورثا وعيًا جديدًا داخل المؤسَّسات التقليدية نفسها والتي قصدا إلى تفكيكها، فظهر اهتمامٌ غير مسبوق **بالدراسات القرآنية والتي كانت مهمَّشة لصالح الدراسات الفقهية والحديثية والجدل العقدي، فبدأ التفكير في تلك المؤسَّسات بأهمية النظر في المناهج المعاصرة، والدراسات الحديثة وتطوّرات العلوم.**

٠٣ الدراسات القرآنية في القرن الحادي والعشرين

٠٣ ٠١ السياق غير التقليدي: سجال وجدال، موسوعات ومشاريع

سجالات التسعينات من القرن العشرين **مهّدت الأرضية لصعود خطابات جديدة وإحياء أخرى كانت خامدة، وغدا القرآن الموضوعَ الأبرز لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر**، وتجدَّد الحديث والتساؤل عن مدى مرجعية القرآن للعنف، كما أثيرت من جديد وبشكل أعمق قضيتا التاريخانية والمناهج الحديثة في دراسة القرآن، وهيَّأت الارتدادت نحو كتاب شحرور لصعود صوت القرآنيين الذي كان خافتًا وتلاقيهم من أنحاء مختلفة لنشر خطاب يرى أن القرآن وحده المعبِّر عن الإسلام، وعلى جانب آخر اتسع خطاب الإعجاز القرآني فصدرت دراسات كثيرة فيه، بعضها تستأنف الجوانب العلمية التراثية مما يتصل بالنظم القرآني وعلوم اللغة، واتسم كثيرٌ منها بالدقّة والعمق، فيما انساق جزء كبير من خطاب الإعجاز القرآني إلى خطاب دعوي وتوسع بإسفاف، كخطاب الإعجاز العلمي والذي يفتقد إلى

المعايير العلمية المؤصَّلة في علوم القرآن، وأصول التفسير، وخُصِّصت لهذا النوع جوائز ومنابر إعلامية زادت من اتساعه وشططه.

٠٣. ٢. الدراسات الحداثوية للقرآن:

على مستوى الدراسات كانت سجالات التسعينيات –التي أشرنا إليها- فرصةً للمفكر السوداني محمد أبو القاسم حاج حمد لإعادة تأليف كتابه «**العالمية الإسلامية الثانية**» **٢٠٠٠م** الذي ادّعى فيه أيضًا استخدام مناهج فلسفية ولسانية في قراءة القرآن، وركَّز بالخصوص على القراءة الحضارية والجدل بين عالمَي الغيب والشهادة، وما أسماه منهج القراءتين، ولقيت أطروحته اهتمام المعهد العالمي للفكر الإسلامي، كما لقي كتابه حضورًا واسعًا، في المغرب خصوصًا، لكن أطروحته كما يرى لسانيون[١] **ينقصها تماسك العدَّة المنهجية** فضلًا عن الخلل في تطبيقها في مواطن عدَّة، وكان **أهم أثر تركته أطروحته التنبيه إلى أهمية البنية الداخلية للقرآن**، والإفادة من المناهج الحديثة في قراءته.

وفي عام ٢٠٠١م صدر بالعربية كتاب **محمد أركون** «**القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**» كأول ثمرة تطبيقية لما دعا إليه من توظيف المناهج الحديثة في دراسة القرآن، ولعله **كان القاضي على آفاق نظريته** التي خصَّص لها أعماله السابقة، إذ لم يثمر تطبيق منهجه عن نتائج واعدة تتناسب وَما بشَّر به في كتبه التنظيرية.

في العام نفسه صدر كتاب عبد المجيد الشرفي «**الإسلام بين الرسالة والتاريخ**» ٢٠٠١م، مجدِّدًا الدعوة لتطبيق ما دعا إليه أركون، ومدعيًا تطبيق العلوم والمناهج الحديثة في دراسة القرآن، **ولم تسفر تطبيقاته لتلك الخلطة من المناهج في كتيبه الصغير عن دراسة قرآنية بقدر ما تمَّ توسُّلها لتقرير سلسلة من الأفكار الحداثوية التي يراها حتمية الحدوث**، والمبتَغى تقريرها على أنها نتيجة دراسة دينية تستخدم

١ فليُنظَر: جدل العلاقة بين السياق الجزئي والسياق الكلي في فهم دلالة اللفظ في القرآن، لمسعود صحراوي، ضمن «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، ٢٢١-٢٥٢.

مناهج معاصرة هي منتهى العلوم الإنسانية.[1] دراسة الشرفي كانت متنًا تم شرحه عبر **مجموعة من الرسائل الجامعية** التي أشرف عليها في الجامعة التونسية والتي طبِعت لاحقًا، وتتصل بعلوم القرآن وتاريخ الإسلام والشريعة، وتنتهي جميعًا إلى رؤية تاريخانية للنصِّ القرآني والإسلام، وأن مصيرهما الخضوع لحتميات الحداثة.

في عام ٢٠٠٦م أصدر المفكر المغربي **محمد عابد الجابري كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم: الجزء الأول في التعريف بالقرآن» ثم أتبعه «فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول»** في ثلاثة أجزاء نشر الجزء الأول منه في شباط (فبراير) عام ٢٠٠٨، والجزء الثاني في تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه، والجزء الثالث والأخير في شباط (فبراير) عام ٢٠٠٩، قصد المؤلف من مشروعه «التعريف» بالقرآن الكريم «للقراء العرب وأيضًا للقراء الأجانب»، تعريفًا ينأى به عن «التوظيف الأيديولوجي والاستغلال الدعوي الظرفي». ولا يخفي الجابري أن التداعيات التي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر ٢٠٠١ كانت من دوافع تأليفه، وبخلاف أصحاب المشاريع في قراءة التراث **ينفي الجابري مبدئيًّا أن يكون القرآن مما يصدق عليه مصطلح التراث** فهو النصُّ المؤسس للتراث.

يصرِّح الجابري بأن النصَّ القرآني هو ما أُجمع عليه في المصحف العثماني، لكنه يرى أن هذا الترتيب لا يساعد على فهم القرآن في عصره، لذلك **لجأ إلى الترتيب التاريخي مستفيدًا من دراسات استشراقية اعتنت بهذا الجانب – رغم نقده لها-** كما يستند إلى مقولة الشاطبي أن «المدني من السور ينبغي أن يكون منزَّلًا في الفهم على المكِّي» ويسعى إلى «قراءة القرآن بالسيرة، وقراءة السيرة بالقرآن»، فتابع في تفسيره منهج ترتيب النزول، رغم إقراره أن مسألة الترتيب لا يحسمها النصُّ التاريخي، ويعتمد على «لوائح الترتيب المتشابهة» وخصائص «التمييز بين المكي والمدني»، **ويصنِّف عمله بأنه مجرّد «تعريف بالقرآن»، لكنه في عمقه عملية تأويلية بدءًا من تحديد المداخل لفهم القرآن،** وكانت خلاصة عمله أقرب لفهم القرآن في

١ فليُنظَر: «استخدام المناهج الحديثة في دراسة الإسلام: قراءة في كتاب الإسلام بين الرسالة والتاريخ لعبد المجيد الشرفي»، لعبد الرحمن حللي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد:٢٧، ٢٠٠٢م.

سياق نزوله منها إلى تقريبه إلى الفهم المعاصر للقرآن، ورغم أن المفسّر صاحب مشروع فلسفي إلا أن **الفلسفة غابت في كتابه** الذي «حاول فيه التوفيق بين لانهائية المقصد الإلهي ومحدودية سياق التنزيل، إلا أنه سلك فيه مسلكًا كلاسيكيًا مدرسيًا غاب عنه الهمُّ الفلسفي.»[١]

في عام ٢٠١٠م أصدر المفكر التونسي **أبو يعرب المرزوقي كتابه «الجلي في التفسير»** في ثلاثة أجزاء، المجلد الأول: مقومات الاستراتيجية والسياسة المحمَّدية. والمجلد الثاني: الثمرات المعرفية، نظرية غايات الفعل الاستراتيجي والسياسي وأدواتهم. والمجلد الثالث: الثمرات الوجودية، الحصانة الروحية ودور النخب، وقدّمه على أنه تفسير فلسفي **يسعى فيه المؤلف إلى بيان منزلة الأمة في التاريخ الكوني منذ نشأتها إلى الآن**. فوضع له عنوانًا فرعيًا «استراتيجية القرآن التوحيدية ومنطق السياسة المحمدية»، ورغم تسمية الكتاب بالجلي، إلا أن العدَّة الفلسفية المستخدمة في تصنيفه تجعل منه غامضًا لغير المشتغلين في الفلسفة، ورغم وصفه بأنه تفسير إلا أنه **لا صلة له بالتفسير إلا من حيث كونه متصلًا بالقرآن الكريم**، فينظر المرزوقي بعين الفيلسوف إلى القرآن الكريم في بعدين متلازمين: «حصول الآيات في الوجود الفعلي»، أي النصّ منزلًا في وقائع خطابية ووجودية، والبعد المطلق اللانهائي في الوحي، الذي هو شرط كلّ فرضية تأويلية تتحرّى فهم النصّ مع الوعي بالقصور عن الإحاطة به. **لقد كان المرزوقي وفيًّا في كتابه لبعدين في شخصيته، البعد المعرفي فلم يغادر التفلسف في كتابه، والبعد الديني فتعامل مع القرآن كمسلم يؤمن به وبرسالته، متجاوزًا بذلك الثنائية العقيمة بين العقل والنقل**. لكن كتابه لم يحظ بالانتشار والذيوع **ولم يترك أثرًا في الدراسات القرآنية**، إما لطبيعة لغة الكتاب، أو لأن ما احتواه كان متابعة لنسق دراساته الفلسفية السابقة، فبقي كتابًا في الفلسفة؛ وإن حمل اسم التفسير.

---

١ فليُنظَر: السيد ولد أباه، القرآن الكريم بعين الفيلسوف، http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=52318، سامر رشواني، محمد عابد الجابري قارئاً للقرآن، http://almultaka.org/site.php?id=496، عبد الرحمن الحاج، الجابري وإعادة «فهم القرآن الحكيم»، http://almultaka.org/site.php?id=852

٣. ٠٣. الدراسات الاستشراقية والغربية:

في نهاية التسعينات أصدر مركز الدراسات الشرقية التابع لكلّية الدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS) بجامعة لندن **أول دورية أكاديمية متخصِّصة بالدراسات القرآنية** "Journal of Qur'anic Studies" وذلك في عام ١٩٩٩م، لتلافي القصور في مجال النشر الأكاديمي المتخصِّص بدراسة القرآن، وتهدف المجلة إلى متابعة تطوّر الدراسات القرآنية بمختلف اتجاهاتها، **ولتكون صعيدًا مشتركًا لكلّ المهتمين بالقرآن ودراسته، وتجاوز الفصل المستمر بين التراثين الإسلامي والغربي في دراسة القرآن**، فالكاتبون في كلِّ جانب يتَّجهون بأعمالهم إجمالًا إلى القراء في داخل ثقافتهم.

فكانت هذه المجلة أول محاولة اكاديمية تجمع المسلمين بغيرهم من دراسي القرآن وتعرِّف كلَّ فريق على الآخر، كان المشرف عليها «محمد عبد الحليم عطية» عالمًا مسلمًا، إلا أن أهداف المجلة لم تتحقَّق لمحدودية انتشارها والمشاركين فيها، لكنَّ صدورها في ذلك التاريخ يعبِّر عن حجم الاهتمام الذي بدأت تحظى به الدراسات القرآنية.[١]

ولم تمض سنة على صدور المجلة حتى برزت **زوبعة** جديدة -استشراقية هذه المرّة- تتمثَّل في استعادة فيلولوجيات القرن التاسع عشر، والتي تمثَّلت في **البحث عن أصولٍ عبرية أو سريانية مركّبة للنصّ القرآني، والذي تزعمه بالخصوص كريستوف لوكسنبرغ** Christoph Luxenberg، وهو اسم مستعار لمؤرِّخ وعالم عربيات وساميات ألماني، اشتهر بكتابه «**قراءة آرامية سريانية للقرآن** -٢٠٠٠م» (Die syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache) افترض فيه كتابة أجزاء من القرآن باللغة السريانية، وأن محتويات أقسام حسّاسة من القرآن قد قرِئت بشكل خاطئ، معلّلًا ذلك أن سيادة اللغة الآرامية السريانية إلى حدِّ القرن السابع كوَّنت أساسًا أقوى لأصل الكلمات

١ القرآن مشتركا بين الشرق والغرب، لسامر رشواني، مجلة الدراسات القرآنية، http://almultaka.org/site.php?id=916

ولمعرفة المعنى. وتقوم فرضية الكتاب **على أن القرآن لم يكن في البداية مكتوبًا بصورة كليّة باللغة العربية ولكن بمزيج من العربية والسريانية** (السورية القديمة)، اللغة المنطوقة والمكتوبة السائدة في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن. وقد أثار كتابه جدلًا واسعًا ورفضًا لأطروحته، فيما أظهر مؤتمر أقيم عام ٢٠٠٥م في جامعة نوتردام (نحو قراءة جديدة للقرآن) الازدياد في قبول أسلوبه، فقبل البعض بحماسة نظريته، بينما شعر الآخرون أن طريقته هي وصفة لانتقاء التفسير الذي يخدم طرحه بشكل أفضل. **ورغم أن هذا الكتاب لم يُترجم إلى العربية، وتأخّرت ترجمته إلى الإنكليزية حتى ٢٠٠٧م، إلا أن عددًا من الحداثيين العرب - آنذاك- بشّروا بما تتضمّنه نظريته من فتوحات معرفية** من شأنها أن تغيّر فهمنا للقرآن والأحكام التي تبدو معارضة لقيم الحداثة؛ بل وغدا لدى البعض أن من شروط المفسّر معرفة السريانية.

أطروحة لوكسنبرغ أعادت الاهتمام بأطروحات المستشرقين المؤسّسين، وحملت هذه المرة مشروعًا تنويريًّا للعالم العربي، فقامت مؤسسة كونراد أديناور العاملة في «التنمية» في الشرق الأوسط، بإصدار **ترجمةٍ عربية لكتاب (تاريخ القرآن) ٢٠٠٤ لتيودور نولدكه** (T. Noldeke) (١٨٣٦-١٩٣٠م)، وقد جاء في افتتاحية مقدمة الترجمة العربية: «نضع في تصرُّف القارئ العربي كتاب «تاريخ القرآن»، وهو أهم وأوسع ما صدر في القرن العشرين من كتبٍ باللغة الألمانية، تتناول القرآن الكريم بأسره بالبحث».

وتوِّج اهتمام المستشرقين بالقرآن في **موسوعة القرآن** بالإنجليزية (Encyclopedia of the Qur’an)، وهي موسوعة مكوَّنة من خمسة مجلَّدات وملحق، صدرت بين ٢٠٠١م و٢٠٠٦م، تحتوي مقالات أكاديمية باللغة الإنجليزية، وتهتمُّ بكلّ المواضيع التي تخصُّ القرآن، تمَّ نشرها بواسطة دار النشر «بريل» (Brill) في هولندا، تصف دار النشر بريل هذه الموسوعة بالتالي: «بالاعتماد على التراث العلمي الغني، فإن الموسوعة القرآنية تحتوي على مقالات مرتّبة هجائيًّا عن محتويات القرآن. فهي أشبه بقاموس موسوعي للمصطلحات القرآنية والمفاهيم والشخصيات

وأسماء الأماكن، والتاريخ الثقافي والتفسير، معروضة بشكل موسَّع، مع مقالات عن أهم المحاور والمواضيع في الدراسات القرآنية.»

ورغم مرور أكثر من عقد على صدور الموسوعة إلا أنها **لم تتَرجم إلى العربية ولا تكاد تذكَر في الأوساط الجامعية المتخصِّصة بالقرآن الكريم، كما أن المستشرقين أنفسهم وممن شاركوا فيها منقسمون نحوها**، وحسب رضوان السيد «فإنّ الأعمال الواردة في (موسوعة القرآن) تتراوح بين أقدم القديم وأحدث الحديث، ليس من أجل بيان الدرجة أو المرحلة التي بلغتها البحوث؛ بل دلالةً على الضياع الذي أنزلته التفكيكية أو النقدية الجذرية في العقود الثلاثة الأخيرة بالدراسات القرآنية خاصةً، ودراسات الإسلام بشكلٍ عام.»[١]

أما المشروع الاستشراقي الأوسع والأحدث فهو المشروع الألماني «**الموسوعة القرآنية**» (Corpus Coranicum) الذي بدأ عام ٢٠٠٧م ويستمرّ حسب الخطة إلى ٢٠٢٥م، والذي ترعاه أكاديمية برلين_براندنبرج للعلوم (Berlin-Branden-burgische Akademie der Wissenschaften) في إطار المشاريع الموسوعية الخاصة بتراث العالم القديم وعالم العصور الوسطى، وتشرف عليه المستشرقة أنجليكا نويفرت، الرئيسة السابقة لمعهد الدراسات العربية والسامية في جامعة برلين الحرَّة. ويقوم المشروع على ثلاثة محاور:

الأول: **توثيق النصّ القرآني** المكتوب من خلال جمع المخطوطات القرآنية الأولى وتوثيقها، ومن خلال جمع القراءات من المصادر المبكِّرة، كما يتضمَّن مقارنة بين النصّ القرآني المطبوع وبين تلك المخطوطات مع عرض القراءات المنثورة في المصادر بغضِّ النظر عن اعتمادها لدى المسلمين لاحقًا، ويمثِّل هذا المحور أساسًا لنقد نصي لم يزل يفتقده البحث القرآني (الاستشراقي) حتى اليوم. ويمكن أن يكون تمهيدًا لبناء نسخة نقدية من القرآن كما كان اقتُرِح على الأكاديمية في الثلاثينيات من القرن الماضي.

١ فليُنظَر القرآن في الدراسات الغربية، لرضوان السيد، مجلة التسامح، ٥١-٦٩.

المحور الثاني إنشاء **قاعدة بيانات للنصوص من محيط القرآن** يكشف التقاطعات اللغوية والمعنوية للنصوص القرآنية مع الإرث الديني السابق على القرآن (وخصوصا التراث الكتابي، المسيحي - اليهودي، وما بعد الكتابي، وكذا الشعر العربي القديم). ولا يتحدَّث المشروع هنا عن «المصادر» ويستبدل بها الحديث عن «النصوص الموازية» أو «التقاطعات»، والتي يمكن أن تسهم معرفتها في الكشف عن الأفق الديني والثقافي لمستمعي القرآن الأوائل، وعن طبيعة الرؤية العقدية للدعوة المحمدية.

أما المحور الثالث فهو **التفسير الأدبي العلمي للقرآن**، ويقوم على أساس فرضية خاصة عن نشأة النصِّ المراد تفسيره وسياقه، وهو أن السورة المعدودة مكية تتبع تقاليد بنائية يمكن البرهان عليها فيلولوجيا؛ وعليه ينبغي قراءتها جملة واحدة، أي على أنها وحدة أدبية منسجمة من حيث الأصل، ويرى هذا التفسير، أنه يتعامل مع نصوص مفرَدة ظهرت عبر فترة زمنية تزيد على عقدين، وجمِعت لاحقًا، وأنها تحمل صفات مضمونية وشكلية مختلفة جدًّا؛ لذا فإن العمل على التفسير لا يتبع الترتيب المعهود في المصاحف المعتمَدة؛ بل يعيد ترتيب السور بحسب ترتيب نزولها المفترَض.[١]

لقد أثار المشروع **ردود فعل متفاوتة بين الغربيين أنفسهم سواء على مستوى المنهج أو الغايات، ولم تختلف رؤية المسلمين له عن رؤيتهم للمنجَز الاستشراقي عمومًا. إن عمق المشكلات العلمية والمنهجية في نظام عمل الموسوعة لا يقلِّل من أهمية ما أضافه المشروع ولم يبادر إليه المسلمون، وهو العناية بالمخطوطات القرآنية والمصادر الإسلامية المبكرة، والنصوص السابقة والمحيطة بعصر النزول، فهذه الأخيرة لها دلالتها بالنسبة للمسلمين سواء بمقارنة الإشارة القرآنية المجمَلة إليها، أو بمقارنتها من منطلق مقارنة الأديان، أو من حيث أهمية الإفادة منها لمعرفة لغة عصر النزول ومعهود العرب في الخطاب.**

---

١ فليُنظَر: مشروع الموسوعة القرآنية (Corpus Coranicum): عرض وتعريف، لسامر رشواني، مجلة التأويل، مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد الأول، ٢٠١٤م، ٣١٧-٣٢٦.

إن مشروع الموسوعة القرآنية الألمانية، هو نموذج لحجم الاهتمام الغربي والألماني بالخصوص بالدراسات القرآنية، حتى **إن كثرة الاتجاهات فيها أصبحت بحاجة إلى مختصِّين لمتابعتها، ورغم شيوع السطيحة والضحالة في كثير منها، فإن بعض الدراسات لم تأخذ حقَّها من الدرس والاهتمام، لاسيما تلك التي أعرضت عن الدرس التاريخي واعتنت بالتحليل الدلالي والداخلي للنص**، ويمكن الإشارة هنا كمثال إلى دراسة دانييال ماديغان Daniel Madigan «صورة القرآن عن نفسه» 2001، "The Qur'ân's Self-Image: Writing and Authority in Islam's Scripture"، ودراسات أخرى في هذا الإطار.[١]

هذه الكثرة من الباحثين والأقسام والمؤسسات المعنية بالقرآن في الغرب انتهت عام ٢٠١٢م إلى **تأسيس الجمعية الدولية للدراسات القرآنية**[٢] International Qur'anic Studies Association-، وتضمُّ بين أعضائها باحثين ودارسين للقرآن من جامعات ومؤسسات حول العالم. وينتج هذا العمل التعاوني العالمي مؤتمرات ويقوم بنشر البحوث والتطوير. وتلعب الجمعية دور **شبكة تربط بين مجموعة متنوِّعة من الباحثين والمعلمين**، وتدعم الدراسات القرآنية في التعليم العالي والساحة العامة. وترى الجمعية أن الدراسات القرآنية متعدِّدة الفروع، وتعمل من أجل ضمِّ المختصين في الأدب والتاريخ وعلم الآثار وعلم المخطوطات والدراسات الدينية. وتمَّ تحويل الجمعية إلى منظمة مستقلّة في ٢٩ أيار، ٢٠١٤م، وقد نظَّمت أكثر من مؤتمر سنوي (آخرها في تونس بالتعاون مع بيت الحكمة في تموز ٢٠١٧م)، وقد كشفت تلك المؤتمرات –التي شارك فيها باحثون مسلمون وغربيون- عن حجم الاهتمام العالمي –الغربي خصوصًا- بالدراسات القرآنية، كما أصدرت حديثًا مجلة محكَّمة متخصِّصة في الدراسات القرآنية.

---

١ فليُنظَر: البلاغة السامية: نظرية ميشال كويبرس حول نظم القرآن، لعبد الصمد غازي، مجلة التأويل، مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص١٥٧-١٧٠.

٢ https://iqsaweb.wordpress.com

٠٤ الدراسات القرآنية في القرن الحادي والعشرين

٠٤ .٠١ الدراسات القرآنية في مؤسساتها الإسلامية: استشعار التحدي

هذا الحراك الغربي والحداثي المتصل بالدراسات القرآنية كان في واد والدراسات في كلّيات الشريعة والمؤسسات الإسلامية كانت في واد آخر، ولم يكن من لقاء بينها لا في المنهج ولا في الهدف، فبينما تسعى الأولى (الاستشراقية والحداثوية) لتقرير تاريخانية القرآن أو مقاصديته التي تتجاوز نصَّه، معرضة عن المنجَز الإسلامي في الدراسات القرآنية لاعتبارات مختلفة منها نوع من التعالي عليها، أو النظر إليها على أنها منجَز غير علمي ينطلق من مسلَّمات دينية. ينظر معظم الدارسين من المسلمين (في كليات الشريعة) إلى الدراسات الغربية والحداثية على أنها كذلك تهدف إلى إزالة قدسية النصِّ وتغيير معتقدات المسلمين، وظلَّ الحقلان يتبادلان التُّهم والازدراء، ولم تفلح مجلة «الدراسات القرآنية» اللندنية في كسر هذا الحاجز، إلا أن **شريحة مهمَّة من الباحثين تمكَّنت من كسر قنطرة الأيديولوجيا وتجاوزت تلك القطيعة من خلال رؤية نقدية لكلا التيارين محاولة الإفادة من المنجَز المعرفي والمنهجي، مع تجاوز الخلفية المسبقة نحو القرآن وتوسلاتها المنهجية، ولعلَّ أبرز ما أثمرت عنه تلك الجهود تطوير النظر في مباحث النصِّ والدراسة البنيوية للمحتوى القرآني، والإفادة من علوم اللسانيات في مباحث الصوتيات وعلم التجويد والقراءات، وفي دراسة المفهومات القرآنية ودلالات النصوص،** فالتقت تلك العلوم والمعارف الحديثة مع جهود عربية سابقة، وبالأخص تجربة دراسة المصطلحات في الجامعات المغربية، **وكانت ترجمة أعمال توشيهيكو إيزوتسو** Toshihiko Izutsu إلى العربية (٢٠٠٧م - ٢٠٠٩م في حلب) مدخلاً أدى لشعور شريحة ممن كانوا رافضين للدراسات الغربية أو التي تعتمد هذه المناهج، بجدوى هذه المناهج وإمكانية الإفادة منها، لاسيما وقد ترافق ذلك مع دراسات نقدية لتوظيف مناهج أخرى، ودراسات أخرى أفادت من علوم اللسانيات والدلالة في دراسة نظم القرآن وإعجازه، كما أفادت من ذلك الدراسات اللغوية المتصلة بالقرآن الكريم.

وكان من آثار ذلك الانفتاح **الاهتمام بدراسات قرآنية غير عربية، كان لها خطٌّ مختلف نسبيًّا، مثل أعمال الفراهي** (ت: ١٩٣٠م)، كما **تمَّت ترجمة أعمال مهمَّة كتِبت بلغات أجنبية أخرى،** مثل كتاب فضل الرحمن «المسائل الكبرى في القرآن» ٢٠١٣م، **وأصبحت الدراسات القرآنية وتطوّراتها موضوع مؤتمرات في العالم العربي** بادر إليها الملتقى الفكري للإبداع بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فنظَّم مؤتمر «التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية» في بيروت ٢٠٠٦م، والذي تناول ثلاثة محاور أساسية: **الأول**: التجديد في مناهج التفسير والدراسات القرآنية، أما المحور **الثاني** فتناول التأصيل العلمي للمناهج الحديثة في بُعْدها اللغوي (اللسانيات)، وكيفية توظيفها في الدرس القرآني. أما المحور **الثالث** فخصِّص لتطبيق عملي لجانب آخر من المناهج الحديثة، وهو (الصوتيات والإيبوغرافيا) وكيفية توظيفها في الدرس القرآني.[١]

ولاحقًا اهتمَّت المؤسسات القرآنية في العالم العربي، والتي أنشِئت حديثًا -مثل: مركز تفسير (السعودية)، والرابطة المحمدية ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (المغرب) - بالتنسيق بينها لعقد **مؤتمرات عالمية مشترَكة خاصَّة بالباحثين في القرآن الكريم وعلومه**، فتناول المؤتمر الأول (٢٠١١م) «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه »، وخصِّص المؤتمر الثاني (٢٠١٣م) لـ «آفاق خدمة النصِّ والمصطلح في الدراسات القرآنية»، أما المؤتمر الثالث (٢٠١٥م) فعقِد تحت عنوان: «بناء علم أصول التفسير: الواقع والآفاق». لقد عبَّرت عناوين هذه المؤتمرات والحشد والتنظيم الدولي لها عن **نقلة نوعية في الاهتمام بالدراسات القرآنية في العالم العربي مقارَنة بما كانت تحظى به فروع علوم أخرى أقلّ شأنًا في الدراسات الإسلامية**، كما أنشِئت **مؤسَّسات محلية متخصِّصة بالقرآن الكريم وعلومه**، بعضها يُعنى بجانب القراءات وتعليمها، وأخرى تُعنى بجمع أوعية البيانات ذات الصلة، وقلَّة منها تتخصَّص بالدراسات، وكان لبعض هذه المؤسسات مؤتمراتها الخاصة التي تُعقد لمناقشة قضايا محدَّدة، في بلدان تلك المؤسسات.

---

١ نشرت أعمال المؤتمر في كتاب: «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، دار مدارك، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

وكان من مظاهر الاهتمام المعاصر بالدراسات القرآنية **صدور بعض المجلات المتخصِّصة والمحكمة**، كـ «مجلة الدراسات القرآنية» التي تصدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وهي مجلة محكَّمة صدر العدد الأول منها في ٢٠٠٦م. و«مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية» التي تصدر عن معهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية للقرآن الكريم، صدر العدد الأول منها في ٢٠٠٦م، و«مجلة الدراسات القرآنية»، وهي مجلة محكَّمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، وهي تابعة لجامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، صدر العدد الأول منها في مايو ٢٠٠٧م، ومجلة «ترتيل» ٢٠١٣م، ومجلة «تأويل» ٢٠١٤م، تصدران عن مركز الدراسات القرآنية التابع للرابطة المحمدية للعلماء.

هذه المؤسسات والمؤتمرات والمجلات، والتي ازدادت في العقد الأخير تدلُّ على **تطوّر الوعي الأكاديمي بأهمية العناية المعمَّقة بالدراسات القرآنية، وتدلُّ عناوين المؤتمرات والبحوث في المجلات عن وجود أسئلة منهجية عميقة تواجه الباحثين ما تزال معلَّقة، وإن لم يصرَّح بها أو جرى الالتفاف عليها**، فسؤال **أصول التفسير** يعكس وعيًا بالحاجة إلى نظرية متماسكة في التأويل، لاسيما مع تحدي الدراسات الحداثوية والاستشراقية عن النصّ القرآني، والبحث في **المصطلح القرآني** يستحضر أسئلة أثارتها دراسات وتطبيقات معاصرة درست القرآن من خلال بنيته، ولم تغب عن تلك المؤتمرات والمجلات **دراسات نقدية لبعض المنجَز الاستشراقي والحداثي للنصِّ القرآني**، مما يدلُّ على استشعار التحدي والانخراط في التفكير بأسئلة لم تكن من قبل موضع اهتمام.

٥. مستقبل الدراسات القرآنية: منجَزات لا ترقى للتحدي المعرفي

لأمدٍ بعيد سيظلُّ النصُّ القرآني موضوعًا يشغل الباحثين في الغرب والعالم الإسلامي على حدٍّ سواء، ففضلًا عن **الإلحاح السياسي الذي يطارد علاقة المسلمين بالعصر والحداثة، والتي تزاح بقصد أو بدونه إلى سؤال المرجعية، وتردُّد الإجابة بين أن تكون المشكلة ظرفية أو بنيوية في النصّ**، ثمّة **تحدّيات أكاديمية ومعرفية لم ترق الجهود العلمية إلى التفكير بها**، فالقرآن كنصٍّ مرجعي لنحو ربع سكان

الأرض لم ينل من العناية الأكاديمية والعلمية ما يستحقُّه، رغم كثرة وسعة الاهتمام بجوانب شكلية غير أكاديمية تتصل به، كجهود الحفظ والطباعة والقراءات..، بل إن الجهود المنظَّمة لم ترق إلى مستوى جهود المتقدِّمين بملاحظة إمكانياتهم، ويمكن أن نسجِّل في هذا الشأن بعض المحاور التي يعدُّ من المستغرب أنها لم تلق الاهتمام العلمي المؤسسي من المسلمين:

- لا يزال **تاريخ المصحف ورسمه** موضوع بحث فردي، ينتسب إلى نوع من علوم القرآن، ويعتمد مصادر محدودة في التراث الإسلامي، **ولم يتحوَّل إلى اختصاص أكاديمي**، ولم تتطوَّر وسائل البحث فيه رغم تطوّر المناهج الحديثة في التأريخ لهذا الجانب؛ بل إن المخطوطات القرآنية لا تزال منثورة في أماكن متفرقة من العالم دون توثيق يليق بها، وبعضها لم يُحص ولم يفهرَس، ولا تحظى باهتمام المؤسّسات العلمية، بينما أنجِزت دراساتٌ كثيرة عنها في الغرب، ولم تترجَم للعربية، وهي موضوع مشاريع بحثية تُعنى بالقرآن والمصاحف مموَّلة من ميزانيات البحث العلمي في الأكاديميات الغربية[1] باعتبارها جزءًا من تراث عالمي يرجع إلى مرحلة زمنية ذات دلالة، ولئن كان للعناية بهذه الجوانب أهداف بحثية استشراقية، فإن مَن هم أولى بجمعها ودراستها وتوثيقها هم المسلمون أنفسهم، والغريب أن مخطوطات أقلّ أهمية في العلوم الإسلامية تحظى بعناية أكبر في العالم العربي، وقد بدأت بعض الجهود في دراسة الرسم القرآني وتحليل خطوط المصاحف، لكنها كانت جهودًا فردية في الغالب ودون ما ينبغي أن يكون.

- صدرت موسوعات إسلامية في العالم العربي تتناول فروع المعرفة المختلفة وجوانب جزئية كالحديث والفقه والأصول والأعلام، لكن **القرآن الكريم وعلومه لم يحظ بعد بموسوعات علمية خاصة به، فلم تنجز إلى اليوم**

١ ثمة مشاريع ألمانية فرنسية مشتركة تعنى بالقرآن مثل مشروع «PALEOCORAN» الذي يعنى بجمع بعض مخطوطات المصاحف وتأريخها ودراستها، وقبله مشروع «CORANICA - CONTEXT FOR THE TEXT».

موسوعة تاريخية تلخص وتوثّق ما احتوته التفاسير، وتنسب الأقوال إلى أصحابها الأوائل، كما لا توجد موسوعة تاريخية تُعنى بألفاظ القرآن الكريم، ولا بالمصطلحات المتصلة بعلومه، وكلّ ما هو منجز أعمال فردية غير كافية أو لا يطمَأنّ لها، أو هي أعمال موجَّهة لعرض فكرة معينة.

- المنجَز الأهم الذي تعوزه الدراسات القرآنية هو **بناء نظرية في التأويل تقدِّم آلية متماسكة لتفسير القرآن في العصر الحديث**، فمنهجية التفسير التحليلي المجزَّأة، وآليات التفسير الموضوعي المتَّبعة، وتفسير الآيات على طريقة الفتوى، بحسب الظرف والحال، كلُّ ذلك لم يعد متماسكًا في مواجهة تحدّيات وأسئلة معرفية عميقة، تطرحها دراسات ونظريات تجاوزت هذه المتاريس المنهجية ولم تعد معنيَّة بها، فثمَّة حاجة ماسَّة لدراسات تنجَز في أقسام علوم القرآن في الجامعات تستوعب نظريات التأويل وتقارنها، وتركِّز بالخصوص على اكتشاف المناهج المبكِّرة التي اعتمدها المسلمون في فهمهم للنص ومن خلال المصادر الأولى، ومقارنتها بالمناهج المعاصرة، وتنحت أساليب جديدة تجمع بين وفائها لمقاصد النصّ القرآني وتعاليه وبين فهم رسالته وكيفية تجلية معانيه في حياة المسلمين.

- ثمة ضرورة معرفية تقتضي تجاوز القطيعة العلمية بين أقطار العالم الإسلامي بخصوص الدراسات القرآنية، وهي فيما بين الغرب وبعض الأقاليم أشدّ منها فيما بين العالم الإسلامي نفسه، فلا يعرف العربي ما يجري من دراسات قرآنية في تركيا أو إيران أو الهند أو إندونيسيا أو ماليزيا، والعكس كذلك وإن كان بنسبة أقل، وهذه القطيعة لا تخصُّ الدراسات القرآنية، لكنها مؤشر خطير على التردّي في التعاون الأكاديمي، والأمر على العكس من ذلك تمامًا في الغرب، فحيث تنشر الدراسات القرآنية الجديدة تصل إلى جميع المختصّين بالدراسات القرآنية في جميع الأقطار، وعلى اختلاف اللغات، ولم يعد من عذر يبرِّر هذا النقص في العالم العربي الذي لا تنقصه تقنيات التواصل والنشر.

إن المقاربة العلمية المعاصرة في الدراسات القرآنية ينبغي أن تستجمع العناصر الآتية لتكون منتجة وفاعلة:

- أن تستحضر الشروط العلمية في البحث والدرس القرآني، بأن يتمّ البحث عن المعنى في القرآن، لا أن يُستصحب المعنى من خارجه (سواء أكان المعنى مستمدًّا من التفاسير أم من ثقافة المفسِّر) إلا على سبيل الفرضية، وأن يكون الباحث مستعدًّا لتغيير وجهة نظره وفق ما تقود إليه الأدلَّة والشواهد والقرائن ويفرضه الدرس العلمي.

- أن يُستحضر في الدرس القرآني تاريخ النصِّ القرآني وعصر نزوله من جميع جوانبه لاسيما اللغوي منها، ومن جميع المصادر المتاحة، وأن يُستعان في فهم النصِّ بما توفَّر من المعطيات التاريخية ضمن دراسته كبنية واحدة، سواء أكان ذلك متصلًا بموضوعات القرآن أو مفهوماته، فمعرفة معهود العرب في الخطاب مفتاح مركزي لفهم النصِّ، وثمَّة من المصادر والمناهج المتاحة اليوم مما لم يكن متوفِّرًا للمفسرين من قبل، ما يُمَكِّن من تصور أفضل عن عصر النزول.

- أن تُستحضر التجربة التاريخية في تلقّي النصِّ القرآني تفسيرًا ودرسًا، ومراعاة تطوّرها والعوامل المؤثّرة في اختلافها، فلا يستقيم علميًّا في الدرس القرآني أن يُنسب قول المتقدِّم للمتأخِّر من المفسرين، أو أن يُتلقّى قول المفسر دون النظر في الحيثيات التي جعلته يرجح قولًا على آخر، فعلم التفسير تجربة في فهم النصِّ القرآني، والتعامل العلمي معها يقتضي تنسيبها وعدم التعامل معها كمطلق يقضي على الفهم المخالف لها، كما ينبغي ألا يتمَّ تجاهلها، فهي تراكم معرفي، ومعرفة آلية تشكُّله شرط أساسي لتجاوزه.

- أن يستحضر دارس القرآن المناهج الحديثة في دراسة القرآن، أيًّا كان دارسه، وبغض النظر عن اعتماد هذه المناهج أو رفضها، فمعرفتها من شأنها أن تثري المنهج المعتمَد أو تمكِّن من دحض مشكلات المناهج الأخرى.

إن الجمع بين هذه الأبعاد في الأقسام الجامعية التي تُعنى بدراسة القرآن الكريم -والذي يبدو غير متوقع قريبًا- من شأنه أن يفتح آفاقًا للدرس القرآني تنتقل به إلى العمق الذي تفتقر إليه معظم الدراسات القرآنية المعاصرة، الإسلامية والحداثية والاستشراقية، **فلا تزال معظم البحوث الإسلامية مسكونة بهواجس الدفاع والحفظ والشرح والتبسيط، فتعيد إنتاج نفس المعطيات بقوالب جديدة، فيما تقصد المقاربات الحداثوية والتاريخانية للقرآن إلى موضعته في التاريخ أو تحميله أفكار الحداثة، ويستمرُّ الدرس الاستشراقي منقسمًا إلى تيارين أساسيين: بين باحث عن تاريخ النصِّ وتشكُّله متردِّدا بين مقولات أصوله الكتابية أو التنقيح الممتدِّ في الزمان أو تفاعله مع ثقافة عصره، وبين دراسٍ له كنصٍّ أدبي بغضّ النظر عن تاريخه.**

وإذ تبجِّل القراءة الحداثية المنتَج الاستشراقي وتتجاوزه في مقاصده أحيانًا، فإن كلا الفريقين لا يقيمان وزنًا للدرس الإسلامي للنصِّ القرآني، والمسلمون كذلك – في معظمهم- لا ينظرون إلى المنتَج الاستشراقي والحداثي عن القرآن إلا في سياق كونه يستهدف مكانة القرآن عند المسلمين.

إن الذي لم يدركه الباحثون المسلمون في المؤسسات الجامعية أن **القرآن لم يعد شأنًا يخصُّ المسلمين**، وأن مكانته كنصٍّ موثَّق يتجاوز تاريخه ١٤٠٠ سنة تجعل منه حقلًا معرفيًّا عالميًّا جديرًا بالدرس الأكاديمي بامتياز، أراد المسلمون ذلك أم أبوا، **وإعراض المسلمين عن متابعة ودراسة وترجمة ما يصدر عالميًّا عن القرآن الكريم يعود سلبًا على مقاصدهم في دراسة القرآن، فهم من جهة يحاربون ما يجهلون، ومن جهة أخرى يفوِّتون فوائد معرفية من شأنها أن تعزِّز رؤيتهم الإيمانية بالقرآن.**

قائمة المصادر والمراجع

- **استخدام المناهج الحديثة في دراسة الإسلام «قراءة في كتاب الإسلام بين الرسالة والتاريخ»**، لعبد المجيد الشرفي، لعبد الرحمن حللي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، العدد:٢٧، ٢٠٠٢م.
- **البحث عن سياق القرآن التاريخي: نبذة عن الدراسات القرآنية الحديثة**، لعمران البدوي، مجلة المشرق الرقميَّة (Al-Machreq Online)، العدد الخامس، كانون الأول ٢٠١٤م).
- **البلاغة السامية: نظرية ميشال كويبرس حول نظم القرآن**، لعبد الصمد غازي، مجلة التأويل، مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص١٥٧-١٧٠.
- **الجابري وإعادة فهم القرآن الحكيم**، لعبد الرحمن الحاج، http://almultaka.org/site.php?id=852
- **جدل العلاقة بين السياق الجزئي والسياق الكلي في فهم دلالة اللفظ في القرآن**، لمسعود صحراوي، ضمن «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، دار مدارك، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٢١-٢٥٢.
- **علم الدلالة والدرس القرآني: توشيهكو إيزوتسو نموذجا**، لعبد الرحمن حللي، ضمن «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، دار مدارك، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٨٣-٣١٥.
- **قراءة في كتاب «المسائل الكبرى في القرآن الكريم»**، لعبد الرحمن حللي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية المجلد ١٩، العدد ٣٨ (١٤٣٧هـ/٢٠١٥م)، ص ٢٨١ – ٢٩١.
- **القرآن الكريم بعين الفيلسوف**، للسيد ولد أباه، http://www.alittihad.ae/wajhat-details.php?id=52318
- **القرآن في الدراسات الغربية**، لرضوان السيد، مجلة التسامح، سلطنة عمان، العدد السابع عشر، شتاء ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **مجلة الدراسات القرآنية: القرآن مشتركا بين الشرق والغرب**، لسامر رشواني، http://almultaka.org/site.php?id=916
- **محمد عابد الجابري قارئاً للقرآن**، لسامر رشواني، http://almultaka.org/site.php?id=496
- **مشروع الموسوعة القرآنية** (Corpus Coranicum): **عرض وتعريف**، لسامر رشواني، مجلة التأويل، مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص٣١٧-٣٢٦.
- **نظرة في بعض جوانب الدراسات القرآنية الحديثة والمعاصرة في الغرب**، لرضوان السيد، ضمن «المناهج الحديثة في الدرس القرآني»، دار مدارك، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٥١-٦٩.